مقدمة

منذ اندلاع الثورة السورية في مارس ٢٠١١، مارست جامعة الدول العربية والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي مختلف أنواع الضغط على بشار عبر مجلس وزراء الخارجية العرب ومجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة ولم تنجح هذه الجهود في وقف حمام الدم، بسبب الموقف الروسي والصيني المشترك الداعم لبشار، واستعمال حقّ النقض تكرارًا من أجل تعطيل عدة قرارات دولية تقضي بإدانة استعمال النظام للقوة العسكرية المفرطة لسحق الثورة.

وتعرّضت موسكو بسبب موقفها الداعم لبشار لانتقادات لاذعة من الدول الغربية والعربية، وذهبت كل من السعودية وقطر إلى اتهامها بإصدار تصريح للنظام لقتل المدنيين الأبرياء وتدرك موسكو، من دون شك، نتائج الاستمرار في موقفها وأنه سيؤدّي في نهاية المطاف إلى عزلها على المستويين العربي والدولي.

يثير تصرف روسيا بتقديم الدعم الدبلوماسي والعسكري لبشار مجموعة من الاسئلة حول الأسباب والدوافع للاستمرار في هذه السياسة : ما هي الأهداف التي ترجو موسكو تحقيقها في سوريا، ومن خلالها؟

وإلى متى يمكن أن تستمرّ موسكو في موقفها المتعارض مع الإرادة الدولية والعربية؟ ما هي دوافع التعنّت الروسي؟ هل تنبع هذه الدوافع من مصالح استراتيجية واضحة أم أنها وليدة خلافات عميقة مع واشنطن حول قضايا استراتيجية تتعلّق بموازين القوى، وبالدور الذي تطمح روسيا في الاضطلاع به في السياسة الدولية؟ إلى متى يمكن أن تستمرّ موسكو في الاضطلاع بهذا الدور في ميدان الشرعية الدولية؟ وكيف يمكن محاورة موسكو وإقناعها بتغيير موقفها الراهن من النظام؟

بدأت الأزمة السورية عام ٢٠١١ باحتجاجات ضد حكم الأسد، وتحولت إلى حرب أهلية أدت إلى مقتل ما يقرب من ربع مليون شخص، وأجبرت ما يقرب من ١٢-١٥ مليون سوري على مغادرة منازلهم وفر مئات الآلاف كلاجئين ولم تقف روسيا متفرجة بل دخلت على خط المواجهة منذ بدايتها بصورة غير مباشرة مع حلفائها الآخرين، وبدا ذلك بوضوح مؤخراً وباعتراف روسي من خلال إقامة قاعدة عسكرية في اللاذقية يجري توسيعها وتجهيزها بمعدات عسكرية لتأمين الحماية لها وتتشبث روسيا بسوريا ومن خلالها بالبحر الأبيض المتوسط، فهو بوابة أوروبا والبحر الأسود، وموسكو تقحم نفسها فى سوريا بعلمها أو بدونه، فالصراع صراع دولي قبل أن يكون سوري، فالأسد مدعوم من إيران وروسيا والصين، والمعارضة مدعومة من الولايات المتحدة

وحلفائها، وهذا ما يؤكد أن التدخل الروسي المباشر قد يجر روسيا إلى ما يشبه إلى حد كبير مستنقع أفغانستان كما قد يكون الصراع الدولى على أرض روسيا مقدمة لحرب عالمية ثالثة.

هذا التدخل بصورته الحالية قد يجبر أطراف أخرى كالولايات المتحدة على تزويد المعارضة السورية بأسلحة أكثر فتكًا كما حدث في الفترة السوفيتية في أفغانستان، حيث تم تزويد الأفغان بصواريخ ستينجر التي قلبت موازين القتال، ولم يعد مستبعدًا للغرب إدارة الأزمة في سوريا بدل حسمها من أجل استنزاف موسكو اقتصاديًا وزيادة الأعباء على خزينتها المنهكة أصلاً، وفي حال أصرت موسكو على دخول هذا المستنقع فمن المتوقع أن تتكبد خسائر عسكرية كبيرة ويتم القضاء على آخر موطئ قدم لها في شرق المتوسط والخطوة الأكثر أهمية أن موسكو ستدخل في مواجهة مفتوحة مع غالبية المسلمين في العالم التي باتت تحمل موسكو مسؤولية النكبة السورية، وهذا ما سيجعل روسيا أمام خطر انتقام الجماعات الإسلامية المتشددة وهذا ما يبدو أن بوتين مصر عليه وهو ما سيعرض روسيا إلى سيناريو مشابه لسيناريو أفغانستان.

أسامة عبد الرحمن